الكيماويات المؤثرة على السلوك
PSYCHOTROPIC

يقول البروفسور (ب . ف . سْكِنّرْ — B. F. SKINNER) :

« على مجتمعنا أن يحاول جاهداً السيطرة على سلوك الإنسان بحيث نستطيع توجيهه لما نراه مناسباً لنا !!! (كذا) ، قبل أن تتمكّن « جماعة » !! أخرى من السيطرة على سلوكه وتوجيهه نحو طرقٍ لا تناسبنا !!![٤٢] ».

والسؤال الهام الآن هو : هل بإمكان العلماء السيطرة على سلوك الإنسان ؟ لا شك أن هناك عقاقير تؤثر على سلوك الإنسان وهي على ثلاثة أنواع :

أولاً — العقاقير المهدّئة (TRANQUILIZERS) مثل عقار (الميبروبامات (MEPROBAMATE) ، والليبريوم — (LIBRIUM) و (الليبراكْسْ) (LIBRAX) الموجودة حالياً في الصيدليات العامة .

ثانياً — العقاقير المنبّهة — (ANELEPTICS) مثل عقار (الكورامين) (CORAMINE) وأمثاله .

ثالثاً — العقاقير المؤثرة على النفسيّة — (PSYCHOTOMIMETICS) مثل مادة (ل . س . د — L.S.D) وغيرها .

ومنذ زمن بعيد يعرف الناس العقاقير المخدّرة التي تستعمل في الطب

---

٤٢ — القنبلة البيولوجية الموقوتة ، تأليف الدكتور جوردن راتري تيلور — G.R. TAYLOR صفحة (١٥٧) .

الجراحي ، وقد تُستعمل لغايات غير شريفة ولا إنسانية ، ويكون الدافع إجرامياً ، سواءٌ استعملت ضد فرد ، أو ضد جماعة ، أو ضد شعب بكامله .

وفي أواسط الخمسينيات من هذا القرن بدأت الولايات المتحدة بإنتاج مادة كيماوية سمّتها (ب . ز) (BZ) بعد عشر سنوات من الأبحاث قامت بها العسكرية الأميركية .

و (B.Z) مادة يشبه مفعولها – إلى حدّ ما – مفعول (الأتروبين – ATROPINE) في جسم الإنسان في بعض النواحي ، (ANTICHOLINERGIC) وهي مادة بلّورية صلبة بيضاء تسمح لها خصائصها الفيزيائية والكيميائية بأن تُستعمل على شكل رذاذ لتُسْتَنْشق وتدخل الرئتين وتُسبّب تعطيلاً موقتاً يُشبه الشلل مع فقدان البصر والسمع . فإذا أخذ منها الإنسان كمية كبيرة يظهر تأثيرها على الشكل المتدرّج التالي :

أ – بعد ساعة إلى أربع ساعات (١ – ٤) : ازدياد في ضربات القلب ، دوّار ، عدم توازن تقيّؤ ، جفاف في الفم ، زَيَغان في البصر ، ضياع في الاتزان العقلي .

ب – بعد أربع ساعات إلى اثنتي عشرة ساعة (٤ – ١٢) : عدم قدرة على التأثر بالإثارات المحيطية ، وعدم القدرة على التحرك .

ج – بعد اثنتي عشرة ساعة إلى ست وتسعين ساعة (١٢ – ٩٦) : ازدياد في الحركة ، تصرفات مختلفة لا يمكن التكهّن بها ، ثم عودة بطيئة إلى الوضع العادي الطبيعي بعد يومين إلى أربعة أيام من التعرض لهذه المادة[٤٣].

ويتركّز تأثير هذه المادة في الجهاز العصبي المركزي على النشاطات التالية :

---

٤٣ – النواحي الصحية والأسلحة الكيماوية والبيولوجية ، إصدار هيئة الصحة العالمية عام ١٩٧٠ – صفحة (٥٠ و ٥١) .

١ ــ الذاكرة : إذْ يحدث فيها اضطراباً وخللاً .

٢ ــ القدرة على حلّ المشاكل : إذْ يعطّلها .

٣ ــ الانتباه والتّركيز والفهم : إذْ يشوش هذه القدرات .

وبعد زوال أثر الغاز هذا تزول كل هذه الأعراض ، دون أن تترك تعطيلاً دائمياً لا جسمياً ولا عقلياً[٤٤] .

ولقد جُرّب الغاز على قطّة ثم وُوجهتْ بفأرة وأخذ لهما شريط سينمائي وكان المشهد مثيراً ، فلقد خافت القطة من الفأرة وحاولت جاهدة الهرب منها ، وكانت القطة تقفز قفزات عالية في الهواء من الرعب والفزع كلما مرّت الفأرة قربها .

ثم جُرب الغاز (BZ) على بعض أفراد القوات المسلحة ، فكانت النتيجة أن نسيَ حارس إحدى المنشآت العسكرية الهامّة « كلمة السر » وترك أحد الغرباء يدخل بينما انزوى هو مرتبكاً ضائعاً لا يدري ماذا يفعل .

ورافق انتاج هذا الغاز في أميركا موجة دعائية قوية في الرأي العام ، أطلق فيها شعار « الحرب ... الإنسانية » !!! ؛ ولقد استأجرت ناظرية الدفاع الأميركية شركة خاصة للاعلان للترويج لبضاعة « الأسلحة الكيماوية ... الإنسانية » !!!؟ وعُرفت هذه الحملة الدعائية باسم عملية السماوات الزرق (OPERATION BLUE SKIES)؛ وفي أسبوع واحد تقريباً ــ عام ١٩٥٩ ــ نشرت تسع صحف أميركية كبيرة سلسلة من المقالات عن برنامج الأسلحة الكيماوية والبيولوجية وكان من جملة عناوينها « حرب بلا موت » !!!

وبدأت كذلك بعض المجلات العلمية والطبية الكتابة في هذا الموضوع

---

٤٤ ــ يذكر خبراء هيئة الصحة العالمية أن (BZ) قد يسبب وفيات في بعض الأحيان إذا استعمل في جو حار وجاف لأنه يمنع التعرق (النشرة الشهرية لهيئة الصحة العالمية مجلد ٢٤ عدد ٣ آذار ــ مارس ــ ١٩٧٠ صفحة ١٠٢) .

معلنة أن استعمال هذا السلاح يُربح الحرب بلا خسائر كثيرة ، وحتى بلا دماء . وذلك بالتأثير الموقت على الجسم والعقل والنفسيّة في صفوف « الأعداء » .

ويذكر كتيّب التدريب العسكري الأميركي رقم (٣-٢١٥- 215 - 3) أن بالامكان استعمال غاز (BZ) ليس فقط في الأهداف الحربية ، بل لإرباك وتعطيل قيادات هامة عسكرية ومدنية في أوقات الأزمات !! ؛ وهذا الأمر بالذات أحدث « قشعريرة » في جسم كبار رجال (البانتاغون) الأميركي الذين تذكّروا أن أي إرباك عقلي ونفسي لقيادات عليا تملك أسلحة نووية ، قد يؤدي إلى كارثة عالمية لا يعرف أحد مداها .

ويقول كتيب عسكري أميركي آخر رقم (١٠١-٤٠-40 - 101) : يمكن لمركب BZ وأمثاله تحويل إنسان خامل مسالم إلى إنسان بالغ العنف .

وفي عام ١٩٦١ تراجع العسكريون الأميركان قليلاً عن التأكيد على أبحاث المركبات الكيماوية التي تؤثر على سلوك الإنسان ، لأنهم عرفوا أنه ليس من الممكن التكهّن بالسلوك الإنساني تحت تأثير هذه المركبات وحوّلوا أبحاثهم وجهة ثانية محاولين إيجاد مواد مخدّرة لشل القوات المعادية بتعطيل بعض وظائف الجسم ودرسوا مفعول بعض هذه المواد مثل مادة (ماريجوانا MARIJUANA) وهي تقريباً (حشيشة الكيف) ، ثم درسوا مادة (ل.س.د L. S. D) وبعض مشتقّاتها ، ودرسوا مركب (MESCALINE) ومركب (PSILOCIN)ولم يجدوا منها – على‌ما يظهر – فوائد عسكرية تُذكر ،لأنها لا تؤثر إلا إذا أخذت بكميات كبيرة باستثناء مركب (ل.س.د L.S.D.) فهو يؤثر بعيار بسيط ولكن فائدته العسكرية محدودة أيضاً .

لم تكن الغاية من البحث عن مركب كيماوي يؤثر على العقل محاولة « غسل دماغ » القوات المعادية ، ولا إجبار المدنيين على اعتناق إيديولوجية سياسيةمعينة،بل كانت الرغبة هي :إيجاد مركب كيماوي يُخرب التفكير المتزن

عند الأعداء لفترة معينةمن الزمن.فمركب(ل.س.د L. S.D) واسمهالكيماوي الكامل هو ثاني ايتيل آميد حمض الليزرجيك D — LYSERGIC ACID DIETHYLAMIDE قد اكتشفه كيميائيان سويسريان عام ١٩٤٣ وأخضع لاختبارات كثيرة ووُجد له تأثيرات عدّة منها : فقدان الاتزان العقلي ، والارتباك ، والشك ، والقلق ، والانهيار النفسي والجنون ؛ وادّعى البعض أن استعماله يقود إلى ... السلام !! والعقل !! والسعادة !! — كذا—حتى أن الدكتور (تيموثي ليري — TIMOTHY LEARY) وصحبه حاولوا استغلال (ل.س.د L.S.D.) لنشر دين جديد !!؟ (٤٥) .

ويحدث (ل.س.د — L.S.D.) تصورات زائفة في خيال الإنسان إذا استُنشِق بكمية أقل من $\frac{١}{١٠٠٠}$ من المليغرام ، أما عيار $\frac{١}{١٠}$ من الميلغرام : فقد ... يقتل الإنسان . وأوضحالدكتور (إ.جيمْس ـ ليبرمان — DR,.E. JAMES LIBERMAN)— وهو طبيب نفساني في واشنطن — في مجلة — علماء الذرّة — عدد شباط — فبراير سنة ١٩٦٢ ، أن استعمال هذه المواد المؤثرة على السلوك كسلاح ، يثير مشاكل جديدة لأن عمر الإنسان ووزنه وجنسه وحالته الصحية ... كل هذه المتحولات لها تأثير على نوع سلوكه بعد استعمال هذه المواد الكيماوية ، ومن الصعب معرفة نوع التصرف والسلوك بعد استعمالها وبالتالي من الصعب بل من المستحيل السيطرة على تأثير هذه المواد الكيماوية .

وتكلّف مادة (ل.س.د) أكثر من مركب (BZ) ومن الممكن استعمال مادة (ل.س.د) في مياه الشرب(٤٦) ، أو نشرها في الهواء لتدخل جسم الإنسان عن طريق جهاز التنفس ، أما تأثيرها : فيحدث بعد فترة وجيزة

---

٤٥ — الأسلحة الصامتة لروبين كلارك ، صفحة (٥٣ و ٥٤) .

٤٦ — تتأثر مادة (ل . س . د) بالضوء وتتخرب بسهولة بواسطة المواد المؤكسدة بما في ذلك مادة (الكلور) التي تستعمل لتعقيم المياه (النواحي الصحية والأسلحة الكيماوية والبيولوجية صفحة ٤٧) .

ومن الصعب نشر المادة على شكل رذاذ فإذا أضفنا لهذه الصعوبة غلاء ثمن المادة هذه يمكن القول ان (ل.س.د) ليس سلاحاً كيماوياً مرغوباً جداً بالرغم من قوة فاعليته . أما كيف تؤثر هذه المادة على سلوك الإنسان ؟ فأمر لم تكتشف دقائقه بعد ، لذا ليس هناك علاج مضاد محدّد ، ويمكن استعمال الأدوية المهدئة بعض الأحيان للتخفيف من أعراضه[٤٧] .

ولعل أحسن ما أختم به هذا البحث عرض ما قاله الليفتنانت جنرال روثْشِيلْدْ — اليهودي — الذي كان رئيس قسم أبحاث الأسلحة الكيماوية والبيولوجية في أميركا .

« ليس من الصعب التكهن بأن أي قائد عسكري تحت تأثير مادة (ل.س.د) سيفقد قدرته على اتخاذ قرارات منطقية معقولة أو إصدار أوامر مترابطة ... وهكذا تضيع وحدة العمل وتعمّ الفوضى ... » .

ويضيف قائلاً : « تصوروا ماذا سيكون تأثير هذه المواد إذا استعملت سراً في القيادات العليا للوحدات العسكرية المعادية ... أو إذا استعملت علناً على مجموعات ومنظمات كبيرة ؟ ويشعر بعض القادة العسكريين أن «علينا» الامتناع عن استعمال هذه المواد لأننا لا نعلم بالضبط ماذا ستكون النتائج !! ولكنْ فكّروا أين سيكون « العلم » !؟ اليوم لو أن ردّة الفعل على كل ظاهرة جديدة كانت : دعونا لا نجرّب ما لم نعلم مسبقاً نتائج التجربة » . انتهى[٤٨] .

هكذا وبكل وقاحة « علمية » !! يريد الجنرال روثْشِيلْدْ استعمال هذه المواد الكيماوية الخطيرة ويحاول جاهداً إقناع العلماء العسكريين الأميركان بضرورة استعمالها ... حباً في تطور « العلم » !! (كذا) وتطوره وتقدمه ، ضارباً بالنتائج الخطيرة المحتملة عرض الحائط .

---

٤٧ — النشرة الشهرية لهيئة الصحة العالمية مجلد ٢٤ عدد ٣ آذار — مارس — ١٩٧٠ صفحة (١٠٢) .

٤٨ — الحرب الكيماوية والبيولوجية لسيمور هرش صفحة (٥٩) .